عنوان المحاضرة

التفسير في عصر النبي ﷺ

التفسير في عصر النبي ﷺ :

ان علم التفسير أول العلوم القرآنية نشأة ، فقد صاحبت نشأته نزول القرآن الكريم وواكبت الوحي ، فكان الصحب رضوان الله عليهم يسألون النبي صلى الله عليه وسلم عن كل ما غمض عليهم من المنزل ،وكان صلى الله عليه وسلم يبين لهم ما يحتاجون إليه من معانيه وأحكامه.

وبالنظر في مشتملات القرآن الكريم نجده قد أوجز في موضع ، وأطنب في موضع آخر ، وفصل في مكان ما أجمله في مكان آخر ، وقيد في موضع ما أطلقه في موضع آخر، وخصص في موضع ما جاء به على العموم في موضع آخر ، وهذا في ذاته بيان.

ولكن بعد ذلك دعت الحاجة إلى فهم الكتاب العزيز؛ ذلك لأن فيه إشارات لم يتح لكثير من العرب أن يفهموها ، وكذلك فإن سلوك المسلم الفردي والاجتماعي متعلق على فهم القرآن وربطه في جميع نواحي الحياة ، ولذلك أخذ التفسير مكانة مهمة في حياة المسلم إلى يومنا هذا ؛ ومما لا ريب فيه أن التفسير مرّ بأطوار ومراحل ، حتى اتخذ الصورة التي نجده عليها الآن. وهي كما يأتي:

أولا: التفسير في عصر النبي ﷺ.

ثانيا: التفسير في عصر الصحابة رضي الله عنهم.

ثالثا: التفسير في عصر التابعين رحمهم الله.

رابعا: التفسير في عصر التدوين.

خامسا: التفسير في العصر الحديث.

المرحلى الاولى : (التفسير في عهد الرسول ﷺ)

اختلف العلماء في مقدار مافسره الرسول ﷺ من القرآن على قولين :

الاول : أن الرسول ﷺ بين لأصحابه معاني القرآن كما بين لهم الفاظه واستدلوا بأدلة منها :

١- ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ والبيان يتناول الألفاظ والمعاني.

٢- حديث أبي عبدالرحمن السلمي ((حدثنا الذين كانوا يقرئوننا : أنهم كانوا يستقرئون من النبي صلى الله عليه واله وسلم ، فكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعلموا بما فيها من العمل : فتعلمنا القرآن والعمل جميعا .
٣- وحديث انس بن مالك (كان الرجل إذا قرأ سورة البقرة وآل عمران جد فينا) وابن عمر اقام على حفظ البقرة ثمان سنوات.قال تعالى(كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا اياته....).

٤- وقالوا ان الكلام المقصود منه فهم معانيه دون مجرد الفاظه فالقرآن أولى والعادة تمنع أن يقرأ قوم كتابا في فن من العلم كالطب ولا يستشرحوه فكيف بكلام الله .

الثاني : إن الرسول ﷺ لم يبين لأصحابه إلا القليل من معاني الآيات واستدلوا بأدلة منها :

١- ما روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : لم يكن النبي ﷺ يفسر شيئا من القرآن إلا آيا بعدد ، علمه إياه جبريل عليه السلام .
٢- قالوا إن الله لم يأمر نبيه بالنص على المراد في الآيات كلها لأجل أن يتفكر عباده في كتابه
٣- وقالوا لو بين الرسول الكريم كل معاني القرآن لما كان لدعائه لابن عباس ((اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل))

والرأي الراجح: أن الرسول ﷺ لم يبين كل معاني الآيات القرأنية لأن :

١- منها مايرجع فهمها إلى معرفة كلام العرب مثل(والضحى والليل اذا سجى ...).
٢- منها مايتبادر فهمه إلى الاذهان لظهوره مثل ((حرمت عليكم أمهاتكم ...))
٣- ومنها ما استأثر الله بعمله كقيام الساعة .
٤- ومنها ما لا فائدة في معرفة أكثر من معناها المتبادر مثل عصا موسى من أي نوع من الشجر . وعلى هذا نستطيع الجزم بأن الرسول الكريم لم يفسر لأصحابه كل آيات القرآن ولا عكس ذلك .لكن الرسول ﷺ قد بين معاني كثير من القران والشاهد ما في كتب الحديث فضلا عن افعاله هو وترجمته للقران بواقع حياته.

منهج الرسول الكريم في التفسير :

١- لم يفسر الرسول ﷺ القرآن كله سورة سورة وآية آية وإنما بين ما امر ببيانه من الوحي غير المتلو .
٢- مما نزل عليه تفصيلاً لمجمل أو تخصيصاً لعام أو تقييدا لمطلق .

٣- فسر النبي ﷺ ما خفي على الصحابة من المعاني التي لايمكنهم التوصل اليها باللغة أو الاجتهاد .

٤- اما مصادر الرسول ﷺ في التفسير فلقد فسر القرآن بالقرآن و بالسنة وكلاهما وحي ، والسنة جاءت مبينة ومؤكدة لما في القرآن من أحكام .

امثلة من التفسير النبوي :

١- توضيح المشكل عند الصحابة :عن عبدالله ، رضى الله عنه ، قال : لما نزلت ﴿ اَلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾ (الأنعام : ٨٢) ، شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : أينا لم يلبس إيمانه بظلم ؟ فقال رسول الله ﷺ : إنه ليس بذاك ، ألا (٣) تسمع إلى قول لقمان ﴿ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾

٢- التفسير بوجود اسباب النزول قوله :﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾يقسم تعالى بنفسه الكريمة المقدسة : أنه لايؤمن احد حتى يحكم الرسول ﷺ في جميع الأمور ، فما حكم به فهو الحق الذي يجب الالقياد له باطنا وظاهرا ، ولهذا قال : ﴿ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ أي : إذا حكموك يطيعونك في بواطنهم فلا يجدون في أنفسهم حرجا مما حكمت به ، وينقادون له في الظاهر والباطن فيسلمون لذلك تسليما كليا من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة ، كما ورد في الحديث : (والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به) .

جاء في البخاري : خاصم الزبير رجلا في شريج من الحرة فقال النبي ﷺ : اسق يازبير ثم أرسل الماء إلى جارك فقال لأنصاري : يارسول الله ، أن كان ابن عمتك ؟ فتلون وجه رسول الله ﷺ ثم قال : اسق يازبير ، ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر ، ثم أرسل الماء إلى جارك واستوعى النبي ﷺ للزبير حقه في صريح الحكم ، حين احفظه الأنصاري ، وكان اشار عليهما بأمر لهما فيه سعة . قال الزبير : فما أحسب هذه الآية إلا نزلت في ذلك : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾

٣- وقد يبتدؤهم النبي ﷺ : عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : قيل لبني اسرائيل : ﴿ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ ﴾فدخلوا يزحفون على استاههم ، فبدلوا وقالوا : حطة : حبة في شعرة .

٤= او يكون حوار او حدث في امر معين :

عن عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه أنه قالَ: لما ماتَ عبدُ الله بن أُبيّ ابنُ سَلُولَ، دُعيَ له رسول الله - ﷺ - ليصلّي عليه، فلمّا قامَ رسولُ الله - ﷺ -، وثَبْتُ إليه؛ فقلتُ: يا رسولَ الله! أتصلّي على ابن أُبيٍّ؟ وقد قالَ يومَ كذا وكذا: كذا وكذا؟ أُعَدِّدُ عليهِ قولَه، فتبسَّمَ رسولُ الله - ﷺ - وقالَ:

"أَخِّرْ عنِّي يا عُمرُ! "، فلمَّا أَكثرتُ عليهِ قالَ:

"إني خُيِّرتُ، فاخترتُ، لو أَعلمُ أني إن زِدتُ على السبعينَ فغُفِرَ (وفي لفظٍ: يُغفَرْ ٥/ ٢٠٦) لهُ لزدِتُ عليها"، قالَ: فصلَّى عليهِ رسولُ الله - ﷺ -، ثم انصرفَ، فلم يمكُثْ إلا يسيراً حتى نزَلَتِ الآيتانِ من {بَراءَةَ}: {وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا} إلى [قوله]: {وَهُمْ فَاسِقُونَ}. قالَ: فعَجِبتُ بعدُ من جراءَتي على رسولِ الله - ﷺ - يومئذٍ، والله ورسولُه أَعلمُ.